ماهية الفلسفة ومستقبلها
بين برتراند راسل وجيل دولوز

إعداد
رضا محمد محمد الغايش
أ.د إبراهيم طلبه سلكها
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة ووكيل الكلية لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة
بكلية الآداب_ جامعة طنطا

المستخلص:
تتردد كثيرا كلمة الفلسفة على الألسن للإشارة بها إلى نوع من المعرفة، أو إلى مجال دراسي معين، أو إلى توجهات هذا أو ذاك من أهل الفكر والعلم، لكن رغم كل هذا القدر من الشيوع والاهتمام إلا أنها لا تكاد تكون محددة وواضحة في اصطلاحاتها ومفاهيمها ومباحثها لدى الكثيرين، وهذا ما يدفع إلى طرح جملة من التساؤلات، والتي من أهمها البحث في ماهيتها ومستقبلها، لأن من أهم خصائص الفلسفة أن تتساءل قبل كل شيء عن ذاتها، كما أن دراسة المستقبل تعتبر واحدة من أهم الموضوعات الجديدة التي اهتم بها الفكر الفلسفي المعاصر؛ بجانب العديد من الموضوعات الأخرى التي ظهرت لتلبية احتياجات الإنسان، وتعميق بحثه حول القضايا التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بوجوده وسط تلك المتغيرات المتنوعة سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو علمية أو غيرها، علمًا بأن التطورات التي مرت بها المجتمعات الإنسانية قد غيرت من نظرة الإنسان إلى ذاته، وإلى وضعه في الكون، وإلى طبيعة علاقته بالآخر؛ مما دفع الفكر الفلسفي إلى استحداث موضوعات جديدة، ونرى ذلك واضحًا كمثال في الدراسات الأخلاقية التي تفرعت إلى فروع جديدة؛ مثل الأخلاق الطبية، وأخلاق الهندسة الوراثية، وأخلاقيات علوم الحياة، وأخلاقيات عالم المال والأعمال، وهذه الفروع قد ظهرت حين تم تجاوز النظرة الشمولية التي أهملت التفاصيل المختلفة، وأصبح كل ميدانٍ يعج بالأسئلة المختلفة عن الإنسان، والموت والحياة، وعن معنى القيمة، وكلها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأوضاع المختلفة التي يعيشها الإنسان، والتي لم تعد الكتابات والنظريات كافية للإجابة على الأسئلة التي تطرحها وضعية الإنسان المعاصر[١].

الكلمات الإفتتاحية: ماهية، وتطور ، ومستقبل الفلسفة، وأهميتها.

[١] أوليفر ليمان، **مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين**، ترجمة مصطفى محمود محمد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، العدد ٣٠١، مارس ٢٠٠٤م، ص١٠.

مقدمة:

ومن الموضوعات الجديدة أيضًا التي ظهرت؛ موضوع" الفلسفة المقارنة" التي تقوم بمقارنة الفكر الإنساني بين الحضارات المختلفة، وأيضًا "علم الأفكار" الذي يدرس تنامي الأفكار الإنسانية عن الكون والإنسان خلال الحضارات المختلفة؛ منذ الفكر الشرقي القديم الذي قدم لنا بدايات التفلسف في الحضارات الشرقية القديمة وحتى الآن، كما ينطبق هذا الأمر أيضًا على مجال التفكير الفلسفي في المستقبل الذي اتسعت جوانبه، وتفرعت قضاياه؛ حتى أصبح لزامًا على الدراسات الفلسفية أن تجعل له مبحثًا فلسفيًا جديدًا يتجاوز النظرة الكلية العابرة إلى البحث الدقيق وبقوة في تفاصيل تصور الإنسان عن المستقبل؛ من أجل ذلك ظهرت الدراسات الكثيرة في الفكر الحديث والمعاصر التي تهتم بدراسة مستقبل الفلسفة من مختلف جوانبه[١]، ومن هذه الشخصيات التي اهتمت بمستقبل الفلسفة الفيلسوف الإنجليزي الكبير برتراند راسل، وكذلك المفكر والفيلسوف الفرنسي جيل دولوز، وفيما يلي يتعرض الباحث لرأيهما في مستقبل الفلسفة من خلال السطور التالي

ويناقش الباحث موضوع " ماهية الفلسفة ومستقبلها بين برتراند راسل وجيل دولوز" في ضوء الإجابة عن التساؤلات التالية:_

١_ ماهي ماهية الفلسفة؟

٢_ ما مستقبل الفلسفة؟

٣_ ماموقف كل من راسل ودولوز من ماهية الفلسفة ومستقبلها؟

وفي ضوء الإجابة عن هذه التساؤلات يركز الباحث على أربع نقاط هي:_

أولا: ماهية الفلسفة.

ثانيا: تطور الفلسفة.

ثالثا: أهمية الفلسفة.

رابعا: مستقبل الفلسفة.

ويعتمد الباحث في ذلك على المنهج التحليلي النقدي المقارن

أولاً: ماهية الفلسفة:

أ) موقف راسل:

يقول راسل في حوار أجراه معه التلفزيون البريطاني، وتم عرضه عام ١٩٥٩م؛ عندما سئل عن ماهية الفلسفة قال:" إنه سؤال يثير جدلًا كبيرًا، وأعتقد أنه ليس هناك فيلسوفان يتفقان على جواب واحد لهذا السؤال؛ أما رأيي الشخصي فيتلخص في أن **الفلسفة ماهي إلا تأملات في موضوعات لم نصل فيها بعد إلى معرفة يقينية**، وهذا ردي أنا، وليس رد لأي فيلسوف آخر"[٢]، فمنذ أن ظهرت المجتمعات الحضارية؛ إذ بالإنسان يجابه العديد من المشكلات، والتي كان من أهمها مشكلة إخضاع قوى الطبيعة، واكتساب المعرفة والمهارة لإنتاج الأدوات والأسحلة، وتشجيع الطبيعة على إنتاج الحيوانات والنباتات النافعة، وهذه المشكلات قد عولجت بواسطة العلم والتقنيات الحديثة، وقد دلت التجربة على ضرورة تدريب العديد من المتخصصين لمعالجتها دائمًا بالشكل الملائم، وهناك أيضًا مشكلة أخرى، وهي تلك التي تنطوي على كيفية استعمال قيادتنا لهذه القوى في الطبيعة، والتي تتضمن بداخلها مشكلات حادة؛ كالديمقراطية التي ضد الديكتاتورية، والرأسمالية التي هي ضد الاشتراكية، والتأمل الحر ضد العقيدة السلطوية، ومثل هذه المشكلات لا نجد من يرشدنا لحلها إرشادًا حاسما؛ إلا أن نوع المعرفة الذي نعمل من خلاله

---

[١] المرجع نفسه، ص١١.

[٢] برتراند راسل، **محاورات**، من مخنارات البرنامج الثقافي لإذاعة الجمهورية المتحدة، ترجمة محمد عبدالله الشفقي، الدار القومية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٦١م، ص ٧.

على مسح واسع للحياة الانسانية في الماضي والحاضر، وتقدير مصدر الاكتفاء أو الشقاء؛ يظهر لنا بعد ذلك أن زيادة المهارة لم تؤمِّن بذاتها أي زيادة في تحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته"[١].

وعندما تعلم الناس زراعة الأرض استعملوا المعرفة لتأسيس عبادة قاسية ترتكز إلى التضحية البشرية، فالناس الذين جعلوا الحصان أليفًا لأول مرة هم الذين استخدموه للنهب واستعباد الشعوب المسالمة، وحينما كانت الثورة الصناعية في مهدها اكتشف الناس صناعة الملابس القطنية بواسطة الآلة لتخرج لنا بعد ذلك النتائج والصور المرعبة من عمل الأطفال في المصانع في مشهد من مشاهد القسوة والسخافة، وفي يومنا هذا أنتج اتحاد العبقريات العلمية، والمهارات التقنية "القنبلة الذرية"؛ ونصبح بعدها أشد وجلًا وخوفًا من ذي قبل، وهذه الأمثلة وغيرها المستمدة من أزمنة تاريخية مختلفة تؤكد لنا بأنه لابد من استخدام شيء بالغ الأهمية أكثر من استخدامنا للمهارة؛ وهذا ما نسميه" الحكمة"، وهو الشيء الذي يجب أن نتعلمه أكثر من تعلمنا للمهارات والتقنيات المتسارعة، وإذا كانت الفلسفة تعني" حب الحكمة"؛ إذن فهي ما يجب على الناس أن يكتسبوه؛ حتى لانجعل الإنسانية تغوص في الكوارث المرعبة، ويجب أن تكون الفلسفة هي جزء لا يتجزأ من التعليم العام؛ بل وفي كل فروع الدراسات الأكاديمية[٢].

ويردف راسل كلامه بقوله:" إن كلمة فلسفة لا يحدد معناها شكل من الأشكال؛ لأن لها معنى حين نستعمله نصف به بعض مظاهر الثقافات التاريخية، وآخر عندما نستعمله يدلل على وضع العقل المرغوب فيه في الوقت الراهن، فالفلسفة هي جزء من البحث عن المعرفة يهدف إلى نفس النوع من التجرد الفكري كما هو الحال في العلم"[٣].

ب) موقف دولوز:

يقول دولوز:" لعلنا لن نتمكن من طرح سؤال: ماهي الفلسفة؟ إلا آجلًا حينما تقبل الشيخوخة، وساعة الحديث بطريقة ملموسة؛ فذلك هو سؤال نطرحه ونحن في اضطراب خفي خلال منتصف الليل؛ عندما لم يعد هناك ثمة موضوع يستدعي السؤال، وكنا فيما مضى نطرحه باستمرار بل ولا نكف عن طرحه بطريقة مباشرة أو جانبية، شديدة الاصطناع، وبالغة التجريد، وكنا نعرضه ونسيطر عليه عابرين به؛ أكثر منا مأخوذين به حيث لم يسعنا التدقيق فيه كفاية؛ كنا شديدي الرغبة في إنتاج ما يعود إلى الفلسفة، دون أن نتساءل عما كانت عليه؛ إلا في إطار الممارسة الأسلوبية حتى يمكننا القول مؤخرًا: ماذا كان عليه ذلك الشيء الذي قمت به طيلة حياتي؟ فنجد مثلًا كتاب" نقد الحكم" لكانط قد أنجزه في مرحلة الشيخوخة؛ فكان كتابًا جامعًا لن يتوقف ما خلفه من المؤلفات عن السعي وراءه، ونحن لا نستطيع ادعاء تحقيقنا لمثل هذا الوضع؛ فكل ما في الأمر هو أن الساعة قد تكون قد حانت لنتساءل عما هي الفلسفة؟ حيث لم نكن نملك سابقًا الجواب الذي لم يتغير..

إن الفلسفة هي: فن تكوين وإبداع، وصنع المفاهيم. لكن لم يكن كافيًا أن يجني الجواب السؤال، بل كان ينبغي أن يحدد الساعة، والفرصة، والظروف، والمشاهد، والأشخاص، وشروط السؤال ومجاهيله، كان ينبغي لنا أن نطرح السؤال بين الأصدقاء كما لوكان سرًا أو موضع كتمان، أوفي تلك الساعة التي يصعب فيها التمييز بين الكلب والذئب، ونكاد نتوجس فيها حتى من الصديق؛ إنها تلك الساعة التي نقول فيها:" هذا هو بالضبط ما كان يشغلني، لكني لست أدري إن أحسنت التعبير عنه، أو إن كنت مقتنعًا به بما يكفي". ثم يتبين لنا أنه لا يهم كثيرًا إن كنا قد أحسنا القول، أوكنا مقنعين مادام أن الأمر في جميع الأحوال هو ما نحن بصدده الآن"[٤].

"إن الفيلسوف هو شخص يخلق شيئًا من نوع خاص جدًا؛ إنه يخلق المفاهيم، فالمفاهيم لا توجد جاهزة، وليست متموقعة في السماء، وليست نجومًا يحدق فيها المرء بل عليه أن يخلق وأن

---

[١] برتراند راسل، **بحوث غير مألوفة**، ترجمة سميرعبده، دار التكوين، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص٣٢.

[٢] المصدر نفسه، ص٣٣.

[٣] برتراند راسل، **بحوث غير مألوفة**، ص١٢.

[٤] جيل دولوزو فيلكس جوتاري، **ماهي الفلسفة؟** ترجمة مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٩٩٧م، ص ٢٨.

يصنع المفاهيم[١]، فلا قيمة للفيلسوف إذا لم يبدع مفاهيمه، فالفلسفة ليست تأملًا ولا تفكيرًا، ولا تواصلًا حتى وإن كان لها أن تعتقد تارة أنها كذلك، ونظرًا لما لكل ميدان من القدرة على توليد أوهامه الذاتية، والتستر وراء ضباب يرسله خصيصًا لذلك"، ومن هنا يتضح لنا الدافع وراء تبني هذا التعريف للفلسفة؛ إذ لا مكان للحديث عن الفلسفة في تحديداتها التقليدية الثلاث؛(التأمل، والتفكير، والتواصل) باستثناء كونها فعل إبداع في إطار المفاهيم، وربما من خلال حصر وظيفتها في عملية الإبداع، ليضمن لها وظيفة دون منحها أي تفوق، وامتياز مادامت هناك طرق أخرى في التفكير والإبداع، بحيث لا تضطر إلى المرور عبر المفاهيم كما هو الشأن في التفكير العلمي[٢].

ثانيًا: تطور الفلسفة:

أ) موقف راسل:

يقول راسل في حواره عندما سئل: ماهي التغيرات التي يراها قد طرأت على الفلسفة عبر السنين؟ فأجاب:" إن الإجابة على هذا السؤال تتوقف على المدرسة الفلسفية التي نفكر فيها، ففيما يتعلق بأفلاطون وأرسطو كان الهدف الرئيسي للفلسفة هو محاولة فهم العالم، وأعتقد شخصيًا أن هذا هو واجب الفلسفة، ثم نصل بعد ذلك إلى الرواقيين الذين صبوا اهتماماتهم على الأخلاق، ومن شعاراتهم يجب أن تكون رواقيًا، ويجب أن تتحمل المحن بالصبر، وأصبح هذا المفهوم مرادفًا وشائعًا لكلمة فيلسوف"[٣].

ولقد كانت الفلسفة منذ أيامها الأولى تهتم بالفهم النظري لتركيب العالم، واكتشاف أفضل طريقة للحياة، وكان لهاذين الهدفين المكانة الهامة لدى الفلسفة؛ مما جعلها ليست بنظرية صرفة ولا بعملية صرفة، وإنما ذهبت للبحث عن نظريات كونية يمكن أن ترتكز عليها الفلسفة العملية؛ فنجد مثلًا صلتها بالعلم واضحة جلية منذ القدم، حيث كان العلم وحتى القرن الثامن عشر منطويًا على الفلسفة بصورة شائعة، ولكن منذ ذلك الحين انحصرت كلمة فلسفة على أكثر المواضيع التي يعالجها العلم تأملًا وشمولًا، وكثيرًا ماكان يقال بأن الفلسفة غير تقدمية، ولكن هذا إلى حد كبير أمر لفظي، وفي الحالة التي يوجد فيها طريق للوصول إلى معرفة محدودة تتعلق بموضوع قديم، فتعتبر المعرفة الجديدة منتمية إلى العلم وتصبح الفلسفة محرومة من كل فضل في ذلك، ولنضرب المثال بـــ**"نيوتن Isaac Newton ١٦٤٢م _١٧٢٧م*"** حيث كانت نظريته في الكواكب تنتمي إلى الفلسفة لأنها كانت غير مؤكدة وتأملية؛ لكن نيوتن عزل الموضوع عن أعماله الفرضية، وجعله مرتبطًا بنموذج مختلف من المهارة، وهذا ما يجعل الإنسان ينطق بالحقيقة الكافية وهي" إن العلم هو ما نعرف، والفلسفة هي مالا نعرف"[٤].

ومن هنا فمن الممكن القول بأن التأمل الفلسفي هو القيمة الأولية للمعرفة العلمية المضبوطة؛ فظنون الفيثاغوريين في الفلك، وديموقريطس في تركيب المادة الذري لولا الفلسفة لتعذر

---

[١] جيل دولوز_ كلير بارنت **(ألف باء دولوز)**، ترجة أحمد حسان: دار فكر، بيروت، لبنان، ص٧٣.

[٢] جيل دولوز وفيلكس جوتاري، **ماهي الفلسفة؟**، ص ٣٣.

[٣] برتراند راسل، **محاورات**، ص١٠.

* **إسحاق نيوتن (Isaac Newton ١٦٤٢م- ١٧٢٧م)** عالم إنجليزي يعد من أبرز العلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العصور وأحد رموز الثورة العلمية. شغل نيوتن منصب رئيس الجمعية الملكية، كما كان عضوًا في البرلمان الإنجليزي، إضافة إلى توليه رئاسة دار سك العملة الملكية، وزمالته لكلية الثالوث في كامبريدج وهو ثاني أستاذ لوكاسي للرياضيات في جامعة كامبريدج. أسس كتابه الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية، كما قدم نيوتن أيضًا مساهمات هامة في مجال البصريات، وشارك لايبنتز في وضع أسس التفاضل والتكامل، وصاغ نيوتن قوانين الحركة وقانون الجذب العام التي سيطرت على رؤية العلماء للكون المادي للقرون الثلاثة التالية حتى حلت محلها نظرية النسبية. كما أثبت أن حركة الأجسام على الأرض والأجسام السماوية يمكن وصفها وفق نفس مبادئ الحركة والجاذبية، كما صنع نيوتن أول مقراب عاكس عملي، ووضع نظرية عن الألوان مستندًا إلى ملاحظاته التي توصل إليها باستخدام تحليل موشور مشتت للضوء الأبيض إلى ألوان الطيف المرئي، كما صاغ قانونا عمليا للتبريد ودرس سرعة الصوت، وساهم نيوتن أيضًا في دراسة متسلسلات القوى ونظرية ذات الحدين، ووضع طريقة نيوتن لتقريب جذور الدوال، ولقد كان نيوتن مسيحيًا متدينًا، لكن بصورة غير تقليدية، فقد رفض أن يأخذ بالتعاليم المقدسة للأنجليكانية، ربما لأنه رفض الإيمان بمذهب الثالوث. وأمضى نيوتن أيضًا أوقاتًا طويلة في دراسة الخيمياء وتأريخ العهد القديم، إلا أن معظم أعماله في هذين المجالين ظلت غير منشورة حتى بعد فترة طويلة من وفاته عام ١٧٢٧م. المصدر: **عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة**، ج٣، ص٣٤٨.

[٤] برتراند راسل، **بحوث غير مألوفة**، ص٣٥.

وصولهم إلى ما يفهمونه، فهي من الناحية النظرية على الأقل تنطوي على أطر للفرضيات الشاملة الكبرى الذي لم يستطع العلم حتى الآن تجربتها وقياسها، وعندما أصبح في الإمكان تجربة هذه الفرضيات تصبح عندما يتم تحقيقها جزءًا من العلم، ولا تعود محسوبة كفلسفة، وهؤلاء الذين يحسبون العلم هو كل شيء يصبحون راضين ومزهوين، ويندون بكل اهتمام بالمشاكل لا يتم عن طريق المعالجة العلمية؛ بل وقد ينزعون إلى التفكير بأن المهارة قد تحل محل الحكمة، ونجد غيرهم يسخرون من العلم فيقلبون القاعدة العامة إلى خرافة قديمة ومؤذية، ويرفضون قبول الحقيقة العلمية، وكلا الموقفين يؤسف لهما لنصل إلى أن الفلسفة هي التي تبين الموقف الصحيح بإيضاحها مدى المعرفة العلمية وحدودها في آن واحد[١].

يقول راسل:" هناك عدد من القضايا النظرية التي لا يستطيع العلم أن يجيب عنها في الوقت الراهن مثل قضية الموت والحياة فهل سنظل على قيد الحياة بعد الموت في أي معنى من المعاني؟ وهل سيكون ذلك لزمن محدود أم إلى الأبد؟ وهل من الممكن أن يسيطر العقل على المادة؛ أم ستسيطر المادة على العقل؟ وهل لكل واحد منهما استقلال معين ومحدود؟ وهل هناك نظام كوني وله غاية؟ وإذا كان ثمة نظام كوني فهل للحياة أهمية في هذا الكون أكثر مما يجعلنا أويقودنا إلى حسبانه من علم الفلك؟ فنحن لا نعرف الإجابة على هذه الأسئلة، ولا نظن أن هناك من يعرف إجابتها؛ لكننا نظن بأن الحياة الإنسانية ستغدو فقيرة إذا نسيت هذه المشاكل وإجاباتها المستلهمة كل هذا من وظائف الفلسفة؛ فالفلسفة هي ضرورة للجميع ماعدا أولئك الذين خلوا من كل فكر، وفي غياب المعرفة تصبح هذه الفلسفة بصورة أكيدة فلسفة حمقاء، ونتيجة لذلك فإن الجنس البشري، وكل فئة مقتنعة بثبات بأن طابعها من الهذيان هو الحقيقة المقدسة بينما طابع الآخرين هو الضلال الذي يندد به"[٢].

ويردف حديثه بقوله:" وللفلسفة كما ذكرنا هدفان نظري وعملي، وقد حان الوقت للنظر في الهدف العملي؛ حيث كان الكثيرون من فلاسفة الماضي يرون أن هناك ربط وثيق بين النظرة إلى الكون، والعقيدة التي تتناول أفضل طريقة للحياة؛ بل وإن بعضهم قد أسس أخويات تشبه المناصب الكهنوتية في الأديرة في الأزمنة المتأخرة، وكانت الصدامات دائمة بين سقراط وأفلاطون إزاء السوفسطائيين لأنه لم يكن لهم أهداف دينية لهذا، فإذا أريد للفلسفة أن تمثل دورًا جديًا في حياة الناس فيجب ألاتنقطع عن التبشير بطريقة من طرق الحياة، وبهذا العمل تقوم الفلسفة بما يقوم به الدين مع بعض الاختلافات"[٣].

وفيما يخص موضوع الأخلاقيات فهناك فارق هام بين التعاليم الأخلاقية للفلاسفة القدماء، وتلك التي تلائم عصرنا؛ فالفلاسفة القدماء قد وجهوا دعوتهم إلى سادة البطالة الذين يستطيعون العيش كما يحلوا لهم، وأن يؤسسوا لمدينة مستقلة لها قوانينها التي تتجسد فيها عقيدة السيد، بينما الأكثرية الساحقة من المثقفين المعاصرين لا يحوزون هذه الحرية، وعليهم أن يكسبوا عيشهم في الإطار الحاضر للمجتمع، ولا يستطيعون إحداث التغيرات الهامة في حياتهم؛ قبل أن يضمنوا التغيرات الهامة في النظام السياسي والاقتصادي؛ والنتيجة من ذلك.. أن يكون من الواجب الإفصاح عن عقائد الإنسان الأخلاقية أكثر من الدعوى السياسية، كما يجب سلوك طريق خاص أكثر مما كان عليه الحال في الماضي السحيق، وللوصول إلى طريقة طيبة للحياة يجب أن تكون تصورًا اجتماعيًا أكثر منه فرديًا، كما فعل أفلاطون في جمهوريته، ولكن الكثيرين منهم كان لهم تصور أكثر فردية عن أهداف الحياة[٤].

ب(موقف دولوز:

إن الفلسفة عند دولوز هي بمثابة هيجلية مضادة، وذلك عندما رفض دولوز هيجل تمامًا؛ سواء في مفهومه للفلسفة أو لتاريخ الفلسفة، فإذا كانت الفلسفة عند هيجل هي الكشف عن الحقيقة

---

[١] المصدر نفسه، ص٣٦.
[٢] المصدر نفسه، ص٣٧.
[٣] برتراند راسل، **بحوث غير مألوفة**، ص٣٩.
[٤] المصدر نفسه، ص٤٠.

المطلقة التي لا تظهر دفعة واحدة؛ بل تظهر تدريجيًا عبر العصور، وكل سيستام فلسفي يظهر في تاريخ الفلسفة؛ كل ذلك يمثل مرحلة من مراحل تطور الفلسفة؛ لأن موضوع الفلسفة هو الأزلي، وهذا الأزلي يتكشف تدريجيًا عبر التاريخ، والمطلوب من الفيلسوف هو وعي هذه الضرورة التي تحتم هذا الانتقال من مرحلة إلى أخرى، ويشبه هيجل الفلسفة بالكائن الحي الذي هو واحد، ومع ذلك له مراحل تطور حيث لا يكشف عن حقيقته الكاملة إلا بعد مرحلة متقدمة من التطور[١].

ويعارض دولوز هيجل في ذلك بشدة، ويعتبر أن الفلسفة ليست كشفًا للحقيقة المطلقة؛ بل هي إبراز لما هو لافت وهام وبارز، فالفلسفة ليست استمرارًا لأصل ظهر عند الإغريق وتطور بالضرورة؛ بل هي فن إبداع المفاهيم، وهذا الفن له شروط إمكان واقعية، وشروط إمكان مبدئية، وما إن تجتمع هذه الشروط حتى تولد الفلسفة، وكان من الممكن ألا تولد الفلسفة لولم تجتمع هذه الشروط، وحال الفلسفة في هذا المجال يشبه حال الرأسمالية، والفلسفة عند دولوز ليست للزمني ولا للأزلي بل هي في غير أوانها دائمًا، وعلى تاريخ الفلسفة أن يعيد إنتاج الفلسفة عبر تجديد الأفاهيم القديمة، وإدماجها في القول الفلسفي الراهن، وعبر الصعود إلى المسائل الفلسفية؛ فالفلسفة في صيرورة دائمة، وليست في تطور متواصل، وهي لاتشبه الكائن الحي في تحولاتها وصيروراتها[٢].

ويذكر دولوز:" بأن الفلسفة قد التقت في عصر أقرب إلينا بمنافسين جدد؛ تمثلوا بداية في علوم الانسان. ذلك أنه حينما أهملت الفلسفة باضطراد ميولها نحو إبداع المفاهيم، حينما تحصر نفسها داخل الكليات، لم نعد نعرف بالضبط ما هو المقصود من هذا الموضوع؛ هل كان الأمر يتعلق بالتخلي عن كل إبداع للمفهوم، وذلك لصالح علم دقيق حول الإنسان، أو على العكس بتغيير طبيعة المفاهيم عن طريق جعلها تارة تمثلات جماعية، وتارة أخرى تصورات عن العالم مبتكرة من طرف الشعوب وقواها الحية التاريخية والروحية؟ ثم جاء دور اللسانيات بعد ذلك، وهكذا راحت تواجه الفلسفة من تجربة إلى أخرى، منافسين أكثر فأكثر، وشتامين أكثر فأكثر؛ حتى أن أفلاطون نفسه لم يكن ليتصورهم في أشد لحظاته هزلًا، وقد بلغ العار مداه حين استحوذت المعلوماتية والتسويق التجاري وفن التصميم والدعاية، وكل المعارف الخاصة بالتواصل؛ على لفظة المفهوم ذاتها، وقالت هذه مهمتنا، ونحن منتجوا المفاهيم ونجعله داخل حاسوباتنا، فيصبح الإعلام هو الإبداعية، والشركة هي المفهوم، وهنا نتساءل كيف يمكن للفلسفة باعتبارها شخصية عريقة اللحاق بأطر شابة في سباق نحو كليات التواصل بهدف تحديد وترويج صورة تجارية للمفهوم؟ إنه لمن المؤلم بالتأكيد أن نتبين أن المفهوم يعني شركة للخدمات وللهندسة المعلوماتية؛ لكن كلما اصطدمت الفلسفة بمنافسين متهورين وأغبياء، وكلما التقت بهم داخل مركزها، فإنها تشعر بحيوية لأداء مهمتها وخلق المفاهيم التي هي بمثابة قذفات فضائية أكثر منها سلعًا، مما يدفعها إلى الضحكات التي تجرف الدموع؛ هكذا تكون إذًا مسألة الفلسفة هي النقطة الفريدة التي يلجأ فيها كُل من المفهوم والإبداع إلى بعضهما"[٣].

وعندما سئل دولوز كيف تتطور مشكلة ما عبر الزمن حيث أن الفكر يتطور؟ فأجاب قائلًا:" ربما يتنوع طبقا لكل حالة، يجب أن يكون المثال كافيًا ففي القرن السابع عشر، بالنسبة لمعظم الفلاسفة العظام، ماذا كان قلقهم السلبي؟ لقد كان قلقهم السلبي هو منع الخطأ، وصد مخاطره، وبعبارة أخرى كان سالب الفكر هو أن العقل قد يخطئ، ولمنع العقل من الخطأ، كيف نتجنب الوقوع في الخطأ؟ ثم حدث انزلاق طويل تدريجي، وفي القرن الثامن عشر ولدت مشكلة أخرى قد تبدو هي نفس المشكلة لكنها ليست نفسها على الإطلاق؛ فلم تعد شجب الخطأ بل شجب الأوهام، وهي فكرة أن العقل يسقط في الأوهام بل هو محاط بها، بل يمكنه هو ذاته أن ينتجها، وكان هذا هو

---

[١] جمال نعيم، **جيل دولوز وتجديد الفلسفة**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص٩٣.
[٢] جمال نعيم، **جيل دولوز وتجديد الفلسفة**، ص٩٥.
[٣] جيل دولوز وفيلكس جوتاري، **ماهي الفلسفة؟**، ص٣٥.

مجمل حركة فلاسفة القرن الثامن عشر، ويشبهها ما حدث في القرن السابع عشر، وقد يرجع ذلك إلى أسباب اجتماعية، فلم يعد السؤال كيف نتجنب الوقوع في الخطأ؟ بل كيف ننجح في تبديد الأوهام التي تحاصر العقل؟ وفي القرن التاسع عشر أنزلقت الأمور أكثر فأكثر لتصبح كيف نصد البلاهات؟ ويظهر هذا بوضوح في أعمال الكثير من الفلاسفة، ويمكن للمرء القول بأن الأمر مرتبط بالتطور الاجتماعي، لكن ثمة أيضًا شيء أعمق في هذا التطور في هذا النوع من تاريخ المشكلات التي يواجهها الفكر، ففي كل مرة يطرح المرء مشكلة تظهر مفاهيم جديدة"[١].

ثالثًا: أهمية الفلسفة:

أ) أهمية الفلسفة عند راسل:

يقول راسل:" أعتقد بأن للفلسفة فائدتين بالفعل: إحداهما أنها تظل تغذي التأمل في الأشياء التي لم تخضع للمعرفة العلمية؛ فمهما يكن الأمر، فإن المعرفة العلمية تعطي شطرًا ضئيلًا فقط من الأشياء التي تهم الجنس البشري، والتي يجب أن تهمه، وإن هناك عددًا هائلًا من الأشياء الهامة للغاية لا يعرف العلم عنها كثيرًا؛ في الوقت الحاضر على الأقل، وأنا لا أريد أن تظل أخيلة الناس محدودة، ومحصورة داخل ما يمكن معرفته الآن، وأعتقد أن من بين فوائد الفلسفة أيضًا أنها توسع من نظرتك الخيالية إلى العالم في مجال الافتراضات، وهناك أيضًا فائدة أخرى تماثلها في الأهمية، على ما أعتقد، وهي أن الفلسفة ترينا أن هناك أشياء كنا نعتقد أننا نعرفها، غير أننا لا نعرفها؛ فالفلسفة من ناحية تجعلنا نفكر في أشياء قد نعرفها في يوم من الأيام، وهي من ناحية أخرى تجعلنا متواضعين حين نعرف كيف أن هناك أشياء كثيرة ليست من المعرفة في شيء بالرغم من أنه خيل إلينا أنها معرفة"[٢].

وحين سئل راسل عن الفائدة العملية من الفلسفة قال:" كثير من الناس لا يعرفون كيف يتصرفون بعد أن كفوا عن التسليم بشواخص تقليدية كانت ترشدهم إلى الطريق الصحيح، وهم لا يعرفون أي معالم أخرى يسترشدون بها، وأعتقد أن الفلسفة التي أومن بها تفيد من هذه الناحية: إنها تساعد الناس على أن يتصرفوا بجرأة مع أنهم ليسوا على يقين تام بأن تصرفهم هو التصرف السليم، ولا أعتقد أن من واجب المرء أن يكون موقنًا من أي شيء؛ فإذا كنت موقنًا من شيء فتأكد بأنك مخطئ، فليس هناك شيء يستحق اليقين، ولذا يجب على المرء أن يعتنق كافة معتقداته بشيء من الشك، ويجب أن يكون لديه القدرة على التصرف بحيوية بالرغم من هذا الشك، وعلى كلٍ فهذا هو ما يفعله القائد عندما يضع خطة للمعركة؛ إنه لا يعرف تمامًا ما الذي سيفعله العدو، غير أنه يخمن بطريقة صحيحة إذا كان قائدًا بارعًا، فإذا كان قائدًا فاشلًا فإنه يخمن بطريقة خاطئة، غير أنه على المرء أن يتصرف في واقع الحياة بناء على الاحتمالات، والذي أتوقعه من الفلسفة؛ هو أن تشجع الناس على التصرف بحيوية بالرغم من افتقارهم إلى اليقين الكامل"[٣].

ويختتم راسل كلامه بقوله:" لا ينبغي أن يظن أحد بأن الشباب العاكفين على تحصيل معرفة متخصصة ذات قيمة؛ يستطيعون توفير الوقت لدراسة الفلسفة، وإن استطاعوا ذلك فقد يؤذي تلك المهارات التقنية التعليمية التي يكتسبونها؛ لذلك فإن الفلسفة تستطيع أن تمنح بعض الأشياء التي ستزيد كثيرًا من قيمة الطالب ككائن بشري وكمواطن، فهي تستطيع أن تمنحه عادة التفكير الدقيق في كل القضايا العملية الهامة؛ كما أنها قادرة على أن تمنح سعة ومدى غير شخصيين للمفهوم الغائي للحياة، وتستطيع أيضًا أن تعطي الفرد قياسًا منضبطًا عن نفسه في صلته بالمجتمع، ووضع القياس بين الرجل الراهن ورجل الماضي وكذلك رجل المستقبل، بل ولتاريخ الإنسان بكامله والكون الذي يعيش فيه"[٤].

---

[١] جيل دولوز وكلير بارنت، **ألف باء دولوز**، ص٧٩.
[٢] برتراند راسل، **محاورات**، ص٨.
[٣] المصدر نفسه، ص١٤.
[٤] برتراند راسل، **بحوث غير مألوفة**، ص٤٣.

ويعتقد راسل بأن الفلسفة مهمة في عالمنا اليوم؛ لأنها تجعلك تدرك دائمًا أن هناك موضوعات ضخمة جدًا، وهامة جدًا لا يستطيع العلم أن يتناولها في الوقت الحاضر على الأقل، وأن وجهة النظر العلمية وحدها لا تكفي، والفائدة الثانية التي تحققها؛ هي أنها تجعل الناس أكثر تواضعًا من الناحية الفكرية، كما تجعلهم يدركون أن هناك من الأشياء ما قد نعتقد صحته، ثم يثبت غير ذلك، وأنه ليس هناك طريق مختصر إلى المعرفة، وأن فهم العالم هو الهدف الكامن الذي يجب أن يرنوا إليه كل فيلسوف، وهذا الفهم هو مهمة شاقة، وعسيرة جدًا لا ينبغي أن نكون متعنتين وجامدين حيالها[١]، وإن الفلسفة تهدف ككل الدراسات الأخرى إلى المعرفة، والمعرفة التي تهدف إليها هي ذلك النوع من المعرفة الذي يكسب مجموعة العلوم وحدة ونسقًا؛ ذلك النوع الذي يأتي من التمحيص الدقيق والنقد المتين للقواعد التي تقوم عليها آراؤنا وأحكامنا ومعتقداتنا[٢].

ب) أهمية الفلسفة عند دولوز:

إذا لم تعي الفلسفة على حد قول دولوز بأنها:" إبداع المفاهيم"، فإن الكوارث ستستمر وسنعيش في صورة ساذجة وهابطة للفكر، وعلى أنماط متدنية للوجود، ولا يمكن للفيلسوف أن يترك المصير البشري للعلماء ورجال الدين والسياسة، لأنه من دون الفلسفة سيصل إلى الخراب أو إلى الابتذال، وهذا ما أكدته الأزمة المالية العالمية؛ حيث تم ترك مصير البشرية لحفنة من الرأسماليين والمصرفيين والمقامرين؛ الذين حققوا في وقت من الأوقات نتائج باهرة لكنها وللأسف جاءت على حساب الإنسان، ويؤكد ذلك الأحداث التي تجري في أكثر من بلدة، والتي بينت كيف يتحول الدين مهما ادعى أصحابه الطهارة والقداسة؛ إلى أداة قمع واستبداد وتخلف، مع أنه في جوهره مناف لكل هذا، وإذا كان على الجميع أن يساهم في تقدم البشرية وعظمتها، فإن للفيلسوف النصيب الأوفر في ذلك؛ لأن عظمة البشرية ليست مرهونة فقط بمدى تقدمها العلمي بل بمستوى الأفكار التي تستطيع إنتاجها[٣].

ويقدم فكر دولوز شهادة على أن وظيفة الفلسفة إبداعية، ومتجددة باستمرار، ويقوم هذا الاشتغال على أساس نقد التصور الذي جعل من التفكير الفلسفي فاعلية لإنتاج المعنى العميق من خلال التمثيل لظواهر معينة، ومن الفيلسوف شخصًا حكيمًا بحوزته الدلالات الحقيقية للأشياء، وذاتًا ضامنة لوحدة الأفكار وتتابعها؛ ذلك لأن هذا التصور قد شكل في نظر دولوز المبرر الأساسي لفكر" تجاوز الفكر الفلسفي" أو " موت الفلسفة" التي ظهرت في فترات تاريخية بارزة من مسيرة الفكر الغربي، ونجد ذلك واضحًا فيما يسمى بـــ" مخطط الانبثاق" الذي يفصح عنه دولوز؛ حيث أنه بذلك المصطلح لا يميز حقل الفكر الفلسفي عن الحقول الأخرى فقط، وإنما يحدد أيضًا طبيعة المفهوم الفلسفي وتعدد مكوناته، لأن إنتاج المفهوم عبر هذا المصطلح هو نشاط إبداعي مميز للفكر الفلسفي، وصفة "الإبداعي" في تحليل دولوز لا تمثل ما هو معرفي كما في العقلانية الكلاسيكية؛ كالعلاقة بين داخل وخارج، أو فكرة وظاهرة، أو ذات وموضوع، والتي تصبح فيها قيم الأشياء وموضوعات العالم كما هي، وإنما يجعل لفعل المعرفة سلطة وقداسة؛ لتجعل من المعنى مضمونًا قائمًا بذاته[٤].

ويلاحظ دولوز في مخطط الانبثاق أنه لا يوجد تصور محدد للموضوع، ولا تعيين خالص للذات، وكأن مسار الفكر لا يتعلق بإرادة قرار المفكر؛ بل ويعتقد بأن الكتاب لا موضوع له ولا ذات، وإنه يحاك من مواد مختلفة التشكيل، بتواريخ وتسارعات مختلفة؛ والفلسفة على ذلك تقيم حقلًا، وليس شخصًا، هذا الحقل لا يقدم لنا سوى أحداث وعوالم تصبح ممكنة كمفاهيم تجعل من الفكر مجموعة أحداث؛ ليست كذاتية موحدة، ولا يوجد هذا الفكر خارج الذات ولا في ثناياها، وإنما

---

(١) برتراند راسل، **محاورات**، ص١٥.

(٢) برتراند راسل، **مشكلات الفلسفة**، ترجمة سمير عبده، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص١٦٤.

(٣) جمال نعيم، **جيل دولوز وتجديد الفلسفة**، ص٤١٤.

(٤) أنور مغيث، "جيل دولوز، سياسات الرغبة"، مجلة الفكر المعاصر سلسلة أوراق فلسفية، تحرير أحمد عبد الحليم عطية، دار الفارابي بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص١٠٩.

هي آلية من تقاطع نصوص ووقائع تستدعيها، وإن تتبع أثر الفيلسوف يحيلنا دائمًا إلى اقتفاء آثار مفاهيم تعيد تشكيل نفسها داخل فضاءات تتقمصها، تنبثق من العمل ذاته الذي يقوم في حقل معين، لذلك لا أثر لتقدم في الفكر تضمنه ذات ولا حتى عميق مسار خطي لمفهوم بذاته؛ فما التقويمات المنسوبة إلى عناصرها سوى طرق في وجود أولئك الذين يحكمون ويقيمون أنماط وجود لهم؛ لذلك نمتلك دائمًا المعتقدات والعواطف والأفكار التي نستحقها تبعًا لطريقة وجودنا، وأسلوب حياتنا[١].

وعلى الفلسفة أن تعي جيدًا أنها إبداع المفاهيم، وإلا استحوذت فروع التواصل الحديثة على مهمة التفكير، وبالتالي على الفلسفة نظرًا للصلة الأكيدة بين المفهوم والحدث، مع ما لهذا من كارثة كبيرة على الفكر، ويصبح الحدث هو المعرض الذي تقدم فيه هذه المنتجات، لذلك وجب على الفلسفة أن تكون راهنة وثورية ومقاومة دائمًا، تقوم على كشف الأوهام والمخاتلات التي تروجها القوى الظلامية التي تهدف إلى إشاعة الخوف والحزن؛ أما الفلسفة فهي نوع من الفرح الدائم حتى وإن كانت تؤدي إلى إخزان تلك القوى الظلامية[٢].

رابعًا: مستقبل الفلسفة:

أ) عند راسل:

عندما سئل راسل عن مستقبل الفلسفة من وجهة نظره فقال:" لا أعتقد أن الفلسفة ستتمتع في المستقبل بالأهمية التي كانت تتمتع بها عند الإغريق أوفي العصور الوسطى، وأعتقد بأن تقدم العلم يقلل لامحالة من أهمية الفلسفة"[٣].

ولكي يمكن ازدهار الفلسفة يجب الاستمرار في الاعتقاد بعقائد تقليدية، لكن ليست بدرجة ثابتة من اليقين، ولا تحمل على التنقيب عن الحجج التي تدعمها، فيجب أن يكون ثمة اعتقاد بأن الحقائق الهامة يجب أن تكتشف بمجرد التفكير بدون مساعدة من المشاهدة، وهذا الاعتقاد هو حقيقي في الرياضيات الخاصة، التي ألهمت كثيرًا من الفلاسفة العظماء، وهي حقيقية في الرياضيات لأن تلك الدراسة في جوهرها شفهية، وليست حقيقية في مكان آخر، لأن الفكر وحده لا يستطيع أن يقرر واقعًا شفهيًا[٤]، وإن قيمة الفلسفة هي في الحقيقة، بما تكون عليه من عدم يقين بالذات، والإنسان الذي لم ينهل من الفلسفة تكون حياته أسيرة أحكام سابقة استمدها من الفطرة السليمة المشاعة، ومما أخذ به أهل عصره وقومه، ومما نشأ في ذهنه من آراء بفضل عقل نير أو نقد متميز، وبذلك يبدو له العالم عددًا محصورًا واضحًا وجليًا، ولا تثير فيه الأشياء العادية أي سؤال، وكل ما ليس مألوفًا وعارفًا به فهو لا يأبه به؛ أما حين يبدأ المرء بالتفلسف فيكون على النقيض من ذلك، لأنه يجد أن الأشياء العادية المألوفة في حياتنا اليومية تثير من المشكلات مالا نستطيع الإجابة عنه إجابة تامة قط، ومن هنا فإذا كانت الفلسفة عاجزة عن أن تهدينا إلى الجواب الصحيح عما تثيره من شكوك، فهي قادرة على أن توحي لنا بالكثير من الصور التي توسع عقولنا وتحررها من عقال العرف والتقاليد، فإذا أنقصت شعورنا باليقين من الأشياء كما هي، زادت في معرفتنا بالأشياء كما قد تكون، بل هي تقضي على الثقة والاطمئنان المشوبين بالزهو والخيلاء لأولئك الذين لم يسلكوا دروب الشك المؤدي إلى التحرر والانعتاق، وتزيد الرغبة في الاطلاع بما تبينه من أشياء قريبة منا في صور لم نعتادها[٥].

ب) عند دولوز:

ما هو مستقبل الفلسفة؟ ما هو موطنها وشعبها الآتيان؟ إنه شعب وموطن أو أرض لم يأتيا بعد، إنه ليس على كل حال الدولة الديموقراطية الرأسمالية الحالية، فلقد أفرزت الدولة الوطنية والديموقراطية فظاعات النازية، والتوسع الإمبريالي والحروب ضد الشعوب غير الغربية

---

[١] المصدر نفسه، ص١١١.
[٢] جمال نعيم، **جيل دولوز وتجديد الفلسفة**، ص٤١٥.
[٣] برتراند راسل، **محاورات**، ص١٥.
[٤] برتراند راسل، **بحوث غير مألوفة**، ص٦٥.
[٥] برتراند راسل، **مشكلات الفلسفة**، ص١٦٧.

واستعمارها واستغلالها؛ أليست هذه فظاعات الدولة الديموقراطية الغربية؟ والتي تحمل تناقضات ومفارقات تستلزم معارضة فلسفية، وارتحالا فلسفيا، وباختصار إن للفلسفة علاقة وطيدة بالوطن، والأرض كصعيد للمحايثة، فقد استوطنت مرتين: مرة في الماضي بلاد الإغريق، ومرة في الحاضر في الدولة الديموقراطية، وستستوطن في المستقبل وطنا وشعبا آتيان ننتظرهما[١].

فالفلسفة لا تسقط بمرور الزمن، ولا يسقط الفلاسفة بعد موتهم، لأن الفلسفة تهتم بطريقة التفكير، وتهمل الآراء والمعتقدات؛ فالفيلسوف هو من يفكر بطريقة جديدة ومختلفة، ويبدع لهذه الغاية الأفاهيم الجديدة، ويغير صورة الفكر؛ فلامجال حينئذ لموت الفلسفة ولا لموت الفلاسفة، لأنها تبقى راهنة وثورية، والفلاسفة بعد موتهم يبقون أحياء بل وقادرون على الإشعاع أكثر مما كانوا في حياتهم لكن لكي يحدث ذلك لابد لنا من معرفة كيفية قرائتهم القراءة الصحيحة حتى نتمكن من توجيه إبداعاتهم، والإفادة منها في إنتاج القول الفلسفي[٢].

يقول دولوز:" لم أتأثر أبدًا بالناس الذين يعلنون موت الفلسفة، وتجاوز الفلسفة، والفلاسفة هم من يقولون مثل تلك الأشياء المعقدة على الإطلاق، ولم يؤثر هذا في أو يهمني أبدًا لأنني أقول لنفسي، حسنًا، ماذا يمكن أن يعني هذا كله؟ طالما وجدت الحاجة لخلق المفاهيم ستظل الفلسفة، وليس من المتوقع أن تكون جاهزة بل علينا أن نخلقها، بل ونخلقها كدالة للمشكلات، وإذا كانت المشكلات تتطور فمازال ثمة مكان للفلسفة.. يمكن أن يكون المرء أفلاطونيًا أو كانطيًا حتى اليوم إذا تعامل مع المشكلات بالطرح الافلاطوني او الكانطي طالما يستخدم المفاهيم الأفلاطونية أو الكانطية؛ شريطة أن يقوم بتحويلات معينة، وفي رأيي لا يوجد مثال واحد من بين الفلاسفة العظام ليس لديه ما يقوله عن المشكلات الكبرى التي نواجهها اليوم، لكن ممارسة الفلسفة تخلق المفاهيم الجديدة التي تعمل كدالة للمشكلات التي تنشأ اليوم"[٣].

---

[١] جيل دولوز، **سياسات الرغبة**،ص١٣١.

[٢] جمال نعيم، **جيل دولوز وتجديد الفلسفة**، ص ٩٩.

[٣] جيل دولوز وكلير بارنت، **ألف باء دولوز**، ص٧٨.

الخاتمة:

لابد من الإشارة إلى أن دراسة المستقبل ليس معناها الهروب من الحاضر؛ بل هي في الحقيقة دراسة لممكنات الحاضر، وما ينبغي علينا فعله في المستقبل، لذلك فهي موضوع فلسفي في المقام الأول؛ من حيث اهتمامها بما يخدم الإنسان ومستقبلة وطريقة عيشه في الحياة، مع الوضع في الاعتبار بأن المستقبل هو جزء من كينونة الإنسان التي تتحرك دومًا بين قطبين؛ أولهما: الماضي وما به من خبرات توجه الذات الإنسانية وتشكل ملامحها الأساسية، وثانيهما: المستقبل وهو الأفق التي تتجه إليه اللحظة الراهنة، وإذا كان الإنسان يعيش في هذا المستقبل كان هذا المستقبل هو جزء من الزمن الذي هو موضع دراسة الحقول المعرفية والفلسفية العديدة[١].

ومن خلال ما سبق تبين للباحث أهمية البحث في مستقبل الفلسفة وعرضه من خلال الفلسفة الإنجليزية ومفكرها الكبير برتراند راسل، وكذلك للفلسفة الفرنسية من خلال فيلسوفها جيل دولوز وفكره الجذموري، والذي اتضح فيه: أن الفلسفة عند راسل ما كانت إلا" تأملات في موضوعات لم يصل فيها راسل إلى معرفة يقينية"، ولا يحدد معناها الحقيقي شكل من الأشكال؛ أما عن جيل دولوز فكانت الفلسفة ومازالت هي:" فن تكوين وإبداع المفاهيم"، وأن الفيلسوف هو في الحقيقة شخص مهمته الأساسية هي خلق المفاهيم، ولا يوجد قيمة حقيقية للفيلسوف إذا لم يخلق مفاهيمه ويبدعها.

وهذه الفلسفة التي نحن بصددها قد يطرأ عليها التغيير والتبديل على حد قول راسل، وذلك نظرًا للمدرسة الفلسفية التي نفكر فيها؛ لأن لكل مرحلة من المراحل الزمنية والفكرية ما يسمح للفلسفة بقبول التغيير المناسب لتلك المرحلة، أما دولوز فيرى بأن الفلسفة ليست استمرارًا لأصل ظهر عند الإغريق وتطور بتطور الزمن؛ لأنها في صيرورة دائمة، وليست في تطور متواصل بل هي فن إبداع المفاهيم، وهذا الفن له شروط إمكان واقعية ومبدأية متى تحققت ولدت الفلسفة.

أما عن الفائدة العملية من الفلسفة فرأى راسل أن الفلسفة تساعد الناس على التصرف بجرأة مع الاحتفاظ بالشك الدائم في المعتقدات؛ فهي تشجع الناس على التصرف بحيوية بالرغم من افتقارهم إلى اليقين الكامل؛ أما جيل دولوز فذكر أن الفلسفة هي السبب وراء كشف الأوهام التي تروجها القوى الظلامية فتنشر الخوف والحزن، أما الفلسفة فهي مصدر الفرح الدائم في العقول والنفوس، ولها النصيب الأكبر في المساهمة في تقدم البشرية وعظمتها.

وبالنسبة لمستقبل الفلسفة فنفى راسل أن يكون لها مستقبلًا في الأيام المقبلة، كما كانت في العصور السابقة نظرًا لأن تقدم العلم قد يقلل من أهمية الفلسفة، ولكي يمكن ازدهار الفلسفة يجب الاستمرار في الاعتقاد بعقائد تقليدية، لكن ليست بدرجة ثابتة من اليقين، ولا تحمل على التنقيب عن الحجج التي تدعمها، فيجب أن يكون ثمة اعتقاد بأن الحقائق الهامة يجب أن تكتشف بمجرد التفكير بدون مساعدة من المشاهدة، وهذا الاعتقاد هو حقيقي في الرياضيات الخاصة، التي ألهمت كثيرًا من الفلاسفة العظماء، أما دولوز فكان له رأي آخر حيث رأى بأن الفلسفة لا تسقط بمرور الزمن، ولا تموت بموت الفلاسفة لأنها تبقى راهنة وثورية، وأن الفلاسفة حتى بعد موتهم يبقون أحياء شريطة أن نقرأهم قراءة صحيحة حتى نتمكن من توجيه إبداعاتهم والإفادة منها في انتاج القول الفلسفي.

---

[١] أوليفر ليمان، **مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين**، ص ١٤.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

أ/ أعمال راسل

١- برتراند راسل، **محاورات**، من مخنارات البرنامج الثقافي لإذاعة الجمهورية المتحدة، ترجمة محمد عبدالله الشفقي، الدار القومية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.

٢- برتراند راسل، **بحوث غير مألوفة**، ترجمة سميرعبده، دار التكوين، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٣- برتراند راسل، **مشكلات الفلسفة**، ترجمة سمير عبده، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

ب/ أعمال دولوز

١- جبل دولوزو فيلكس جوتاري، **ماهي الفلسفة؟** ترجمة مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٩٩٧م.

٢- جيل دولوز_ كلير بارنت **(ألف باء دولوز)**، ترجة أحمد حسان: دار فكر، بيروت، لبنان.

ثانيا: المراجع:

١- أنور مغيث، **"جيل دولوز، سياسات الرغبة"**، مجلة الفكر المعاصر سلسلة أوراق فلسفية، تحرير أحمد عبد الحليم عطية، دار الفارابي بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

٢- أوليفر ليمان، **مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين**، ترجمة مصطفى محمود محمد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، العدد ٣٠١، مارس ٢٠٠٤م.

٣- جمال نعيم، **جيل دولوز وتجديد الفلسفة**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

The nature and future of philosophy

Between Bertrand Russell and Gilles Deleuze

By

Reda Mohammed Mohammed Al-Ghaish

Prof. Dr. Ibrahim Toulba Salkha

Professor of Modern and Contemporary Philosophy and Vice Dean for Community Service and Environmental Development

Faculty of Arts_ Tanta University

Abstract:

The word philosophy is frequent on tongues to refer to a kind of knowledge, or to a specific field of study, or to the orientations of this or that of the people of thought and knowledge, but despite all this amount of prevalence and interest, it is hardly specific and clear in its terminology, concepts and topics. Many people, and this prompts a number of questions to be asked, the most important of which is research into what it is And its future, because one of the most important characteristics of philosophy is that it questions itself above all, and the study of the future is considered one of the most important new topics that contemporary philosophical thought has taken care of. In addition to many other topics that emerged to meet human needs, and to deepen his research on issues that are closely related to his presence in the midst of these various variables, whether political, social, scientific, or others, bearing in mind that the developments that human societies have gone through It has changed man's view of himself, his position in the

universe, and the nature of his relationship with the other. Which prompted philosophical thought to develop new topics, and we see this clearly as an example in ethical studies that branched out into new branches. such as medical ethics, ethics of genetic engineering, ethics of life sciences, ethics of the world of finance and business, and these branches emerged when the The totalitarian view that neglected the various details, and every field became filled with different questions about man, death and life, and the meaning of value, all of which are closely related to the different situations in which man lives, and which writings and theories are no longer sufficient to answer the questions posed by the situation of contemporary man.

Keywords: The essence, development, and future of philosophy, and its importance.